منهج التفسير العلمي

وصف التفسير بأنه علمي نسبة إلى العلم. والعلم في اللغة: مصدر يرادف الفهم والمعرفة ويرادف الجزم في رأي، وقال علماء اللغة: علم الشيء عرفه، والعلم نقيض الجهل.

والمقصود بالعلم في هذا المقام العلم التجريبي وما يتعلق به من علوم الطبيعة الموجودة في الكون مثل الفيزياء والكيمياء وطبقات الأرض وعلم الأحياء وعلم البحار وعلم الفلك وغير ذلك.

فهو المنهج الذي يذهب الى استخراج جملة من العلوم القديمة والحديثة من القرآن الكريم .

ويرى البعض أن منهج التفسير العلمي للقرآن هو المنهج الذي يناسب هذا العصر في الدعوة لدين الإسلام ويستفيد منه علماء الدين ويضيفون إليه ما تخصصوا فيه من علوم الفقه والتفسير والحديث، لأن حقائق العلم هي أقصر طريق لإقناع العقول حتى عقول المفكرين الذين لا يؤمنون إلا بما يقوم عليه دليل من الواقع فيجدون في هذا المنهج أدلة لا يمكن إنكارها على وجود الله وعلى قدرته وعلى صدق القرآن وأنه هو الحق كما قال تعالى ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾

فالتفسير العلمي هو اجتهاد المفسر في كشف الصلة بين آيات القرآن المتعلقة بالكون وما فيه ومكتشفات العلم التجريبي على وجه يظهر به إعجاز القرآن ليدل على مصدره الإلهي وصلاحيته لكل زمان ومكان.

فكل إعجاز علمي فهو يُعرف من خلال التفسير العلمي، وليس كل تفسير علمي قابلاً لأن يكون إعجازًا علميًّا تقوم به الحجة على غير المسلمين.

والمتبصر في آيات القرآن الكريم، المدرك لمعانيها، يعلم يقينا أن العلم في مفهومه العام، والذي يحث القرآن الكريم على طلبه والاستزادة منه لا يقتصر على العلم بأحكام الشريعة على اختلاف انواعها، بل هو يدل على العلوم الأخرى والتي لا يحدها حد.

قال تعالى في سورة (النازعات ٢٧-٣٣) ﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاء بَنَاهَا* رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا* وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا* وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا* أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءهَا وَمَرْعَاهَا﴾ .

وقال تعالى في سورة (البقرة:١٦٤) ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾.

فبدأ بذكر خلق السماوات والأرض ودوران الفلك ثم ختم الآية الكريمة بقوله تعالى:- ﴿ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ وهذا كثير في القرآن الكريم، فالأرض والبحار وكل ما تحت السماوات بالإضافة إلى السماوات، قل أن تجيء سورة إلا وفيها ذكرها، وإما إخباراً عن عظمتها وسعتها وأما إقساماً بها وأما دعوة إلى النظر فيها وأما إرشادا للعباد أن يستدلوا بها على عظمة بانيها ورافعها، وأما استدلالا منه. سبحانه. بربوبيته لها، وأما استدلالا منه تعالى بحسنها واستوائها والتئام أجزائها وعدم الفطور فيها على تمام حكمته وقدرته.

بلغت الآيات الكريمة التي تحدّثت عن مظاهر الكون والطبيعة والإنسان والحيوان والنبات ثلث القرآن الكريم، وهذا مبلغ عظيم، وقد ربط كثير من الباحثين في عصرنا الحاضر تلك الآيات ببعض النظريات العلمية والاكتشافات التي ظهرت في العصر الحديث، واعتبروا هذا إعجازًا علميًّا غير الإعجاز البياني الذي جاء به القرآن الكريم، والذي هو الأصل المجمع عليه في الإعجاز.

وهو الإعجاز العلمي الذي لا يمكن أن نبينه سوى قولنا إنه إخبار سابق للمحدثات العلمية في عصرنا ومن ذلك قوله: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾﴾ [الرحمن:١٩–٢٠] وقد اكتشف الباحثون أن مياه البحار لا تمتزج مع بعضها البعض، بل لقد وجدوا أن مياه البحر الأبيض المتوسط لا تمتزج بمياه المحيط الأطلنطي عند جبل طارق. فهناك التقاء وبينهما حاجز ﴿أَمْ مَنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾ [النمل:٦١].

ومن ذلك مراحل وأشكال القمر والتنقل في منازل معلومة والتفرقة بين ضوء الشمس ونور القمر حسب ما جاءنا في العلم الحديث. ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾﴾ [يس:٣٩] حيث تقرر هذه الآية الحقيقة في سبب تغيير شكل القمر في كل شهر وهو تنقله في منازل (مواقع) معلومة حتى يعود هلالاً كما بدأ والعرجون تعبير عن شكل الهلال المقوس. ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾ [نوح:١٦] حيث نجد في هذه الآية التفريق بين ضوء القمر والشمس، وهكذا جميع آيات القرآن تصف الشمس بالسراج المنير الوهاج المضيء، بينما تصف الآيات القرآنية القمر بالنور، فالفرق واضح في التعبير ويدل على حقيقة علمية واضحة وهي أن التقدم العلمي أثبت أن ضوء الشمس من ذاتها ينبع فهي كالسراج المشتعل، بينما القمر فليس ضوؤه إلا انعكاساً من الشمس فليس من ذاته ولقد أنير بنور الشمس.

ورد بالقرآن قوله: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [المائدة:٣١] وفيه اختصاص الغراب بإخفاء جريمته، وقد أثبتت الدراسات العلمية أن الغراب هو أذكى الطيور وأمكرها، ويعلل ذلك بأن الغراب يملك أكبر حجم لنصفي دماغ بالنسبة إلى حجم الجسم في كل الطيور المعروفة. ومن بين المعلومات التي أثبتتها دراسات سلوك عالم الحيوان محاكم الغربان وفيها تحاكم الجماعة أي فرد يخرج على نظامها، ولكل جريمة عند جماعة الغربان عقوبتها الخاصة بها.

لوتد يغرس في الرمل لتثبيت الخيمة، وهكذا الجبال فقد اخترقت بامتداداتها الطبقة اللزجة التي تقع في أسفل الطبقة الصخرية التي تُكوّن القارات، فأصبحت بالنسبة للقارات كالوتد للخيمة، فالوتد يثبت الخيمة بالجزء الذي يغرس في الصحراء وهكذا الجبال تثبت القارات بالجزء المغروس منها في الطبقة اللزجة التي تقع تحت الطبقة الصخرية التي تتكون منها القارات. ولقد تأكد للعلماء هذه الحقيقة العلمية في علوم الأرض عام ١٩٦٥ وعلموا أنه لولا خلقت الجبال هكذا كالأوتاد لطافت القارات ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾﴾ [النبأ:٧]، ومادت الأرض واضطربت من تحت أقدامنا، فالقرآن يذكرنا بهذه الحقيقة بقوله: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾﴾ [النحل:١٥] إن جعل الجبال كالأوتاد لكي لا تميد الأرض بنا لهو خير

دليل على تحركها فلو كانت ثابتة لم يكن للجبال فائدة ثم إن كلمة الرواسي التي تستخدم للسفن مثل المثبت لها حين تكون راسية تقوي هذا المعنى.

بعد تمكن الإنسان من بلوغ السماء بالطيران بوسائل النقل الحديثة عرف أنه كلما ارتفع إلى الأعلى في الجو قل الأوكسجين والضغط الجوي، مما يسبب ضيقاً شديداً في الصدور وعملية التنفس، وذلك عين ما تنطق به الآية قبل طيران الإنسان بثلاثة عشر قرناً من الزمان كما ورد في القرآن: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الأنعام:١٢٥] والحرج شدة الضيق، والآية تبين أنه من عمل ما يستحق به أن يعاقبه الله بإضلاله. فمثل حاله عند سماعه الموعظة وما يتصل بها من الإيمان بالإسلام، وما يصيبه من ضيق شديد كمثل الذي يتصعد في السماء.

ومن أبرز تفاسير هذا المنهج:

١- موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: محمد راتب النابلسي

محمد راتب النابلسي ولد في دمشق من أسرة؛ حظها من العلم كثير، فقد كان والده " عالما من علماء دمشق، وكان يدرس في مساجد دمشق، وترك مكتبة كبيرة تضم بعض المخطوطات والتحق بمدارس دمشق الابتدائية، والإعدادية، والثانوية، ثم التحق بمعهد إعداد المعلمين، وتخرج فيه عام ١٩٥٦ م، وبعدها التحق بكلية الآداب / قسم اللغة العربية / في جامعة دمشق، وتخرج فيها عام ١٩٦٤ م.

(موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة) يتحدث المؤلف في هذا الكتاب بأسلوب جذاب وطريقة واضحة عن الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، من خلال بيان مطابقة الاكتشافات العلمية في العصر الحديث للحقائق القرآنية والنبوية .حيث إنه يجول بنا في رحلة في الجسم الإنساني، ويحلق بنا في عالم الفضاء والفلك ونمخر عبره عباب البحر، لنرى آيات الله الباهرة في تلك الأعماق .وفي الحقيقة إنه يجيبنا عن أسئلة علمية عديدة تدور في أذهاننا ويكشف لنا عن معلومات هائلة في مجال الإنسان والآفاق ويزودنا بالأرقام الدّاعمة التقريبية التي تزيد الصورة جلاءً ووضوحاً .يتحدث لنا مثلا في مجال الآفاق :شموس الكون، البعد بين كواكب المجموعة الشمسية، المسافة التي بيننا وبين الشمس ، عن المرصد العملاق ، عن أبعد المجرات عنا .

وفي مجال الحيوان : يتكلم عن أسماك البحر الكهربائية وعن مجتمع النمل ، ومجتمع النحل، ونحو ذلك . وفي مجال الإنسان: يتحدث عن الساعة البيولوجية لدى الإنسان وعن أجراس الإنذار المبكر في الجسم الإنساني إلى غير ذلك من المواضيع الهامة والشيقة.

٢- التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيق: الدكتورة هند شلبي

تنتمي هند شلبي لأسرة علمية فوالدها الشيخ أحمد شلبي أحد مدرسي جامعة الزيتونة في منتصف القرن الماضي، نالت حظا من التعليم المدني الحديث قبيل التحاقها بجامعة الزيتونة ،

جمعت في تكوينها بين العلوم العصرية وبين الثقافة العربية الإسلامية الاصيلة التي تلقت مبادئها الاولية.

صدر كتاب (التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيق) للدكتورة هند شلبي عام ١٩٨٥م. والدكتورة هند شلبي باحثة تونسية لها عدد من البحوث والتحقيقات القيمة في الدراسات القرآنية. وتعمل - عندما ألفت هذا الكتاب - أستاذة مساعدة بالجامعة التونسية، وعلى كثرة البحوث والدراسات في التفسير العلمي للقرآن الكريم فإن هذا الكتاب يعد من أجود البحوث والدراسات - على وجازته - في هذا الموضوع، حيث حرصت الباحثة فيه على أمرين:

١- محاولة الإلمام بمواقف العلماء من التفسير العلمي للقرآن مع عرض للحجج المؤيدة والأدلة المناقضة، وقد خصصت لذلك القسم الأول من البحث وهو القسم النظري.

٢- الاحتكام في الموضوع إلى القرآن وعلومه وإلى اللغة العربية بالاعتماد على الأمهات من كتب اللغة والتفسير وعلوم القرآن.

وأرجعت الباحثة تعدد مواقف الباحثين إلى تنوع مواقفهم من مسائل هامة قامت عليها قضية التفسير العلمي، من أبرزها موقفهم من حقائق الدين وحقائق العلم، وموقفهم من مسألة إعجاز القرآن، وعلاقة اللغة بالمعاني، وتغير المفاهيم، والروح التي ينظر بها الباحثون في القرآن ومصدريته. وفي القسم التطبيقي قدمت الباحثة فيه بالحديث عن المنهجية التي ينبغي اتباعها لفهم الحقائق في القرآن الكريم.

ثم درست ثلاث مسائل من مسائل التفسير العلمي في القرآن، اثنتان منها كونيتان هما كروية الأرض ودور الجبال في تثبيت الأرض، ومسألة فيزيولوجية أو تشريحية وهي البنان ومعناها في اللغة وموازنة ذلك بمفهوم البصمات.

٣- التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم- ضوابط وتطبيقات- الدكتور مرهف عبدالجبار سقا

مرهف عبد الجبار سقا سوري الجنسية: بكالوريوس دراسات إسلامية - أصول الدين. وماجستير في التفسير وعلوم القرآن. وحاصل على دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن. ويحمل

كتابه (التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم: ضوابط وتطبيقات) تضمن المجلد الأول منه التعريف بالتفسير والإعجاز العلمي للقرآن وتاريخ هذا الاتجاه من التفسير حتى عصرنا الحالي، ثم ضوابط التفسير والإعجاز العلمي، مع مناقشة لأمثلة لتطبيقات ومخالفة ضوابط التفسير والإعجاز العلمي للقرآن مأخوذة لمؤلفين معاصرين اشتهروا بالكتابة في هذا الاتجاه، والمجلد الثاني هو في التطبيق العملي للضوابط المرسومة في المجلد الأول، وذلك من خلال تفسير سورة النحل كاملة، وقد قام المؤلف بتطبيق طرق التفسير المختلفة لبيان منهج استخدامها في تجلية التفسير والإعجاز العلمي للقرآن في ضوء الضوابط العلمية، فاتبع طريقة التفسير الموضوعي وطريقة التفسير الإجمالي وطريقة التفسير التحليلي.

ويعد هذا الكتاب الأول من نوعه في الجمع بين النظرية والتطبيق في قضية التفسير والإعجاز العلمي وذكر الضوابط والتطبيقات معاً، كما تعرض مؤلفه لقضايا أساسية ومهمة في هذا الاتجاه كموقف المفسر من المأثور ومن النظريات العلمية وقواعد التعامل معها.

٤- الجواهر في تفسير القرآن الكريم: الشيخ طنطاوي جوهري

الشيخ "طنطاوي جوهري" ولد في قرية تابعة لمحافظة الشرقية بمصر سنة (١٩٤٠م) أرسله والده إلى كتاب القرية لحفظ القرآن الكريم، ولما أتم الحفظ ازداد ولعه بالعلم فالتحق بالأزهر.

يعد من العلماء الموسوعيين الذين جمعوا بين علوم كثيرة ، فكان من علماء الأزهر، وصاحب منهج تفسيري في كتابه "الجواهر" حول العلاقة بين آيات القرآن والعلم، وكان من دعاة السلام العالمي، و من المناضلين الوطنيين ضد الاستعمار ومن المنضمين لغالبية الحركات والجمعيات الإسلامية التي نشأت في تلك الفترة من التاريخ، ووصفه الزعيم مصطفى كامل بأنه "حكيم الإسلام".

يقع كتاب "الجواهر في تفسير القرآن الكريم" في نحو ستة وعشرين جزءا ، سمى تفسيره "الجواهر في تفسير القرآن الكريم" لأنه يجعل الجوهرة بدل الباب أو الفصل والجوهرة يتفرع عنها الماسة الأولى والماسة الثانية وهكذا.

طريقته في تفسير القرآن أن يبدأ بالتفسير اللفظي للآيات التي يعرض لها ثم يتلوه بالشرح والإيضاح، أي أنه يشرح متوسعا في الفنون العصرية المتنوعة.

وكان يضع في تفسيره كثيرا من صور النباتات والحيوانات ومناظر الطبيعة وتجارب العلوم بقصد التوضيح والبيان.

لقد وضع المؤلف في تفسيره هذا ما يحتاجه المسلم من الأحكام والأخلاق وعجائب الكون، وأثبت فيه غرائب العلوم، وعجائب الخلق مما يشوق المسلمين والمسلمات إلى الوقوف على حقائق معاني الآيات البينات في الحيوان والنبات، والأرض والسموات. هذا وإن المؤلف -رحمه الله- ليقرر في تفسيره، أن في القرآن من آيات العلوم ما يزيد على سبعمائة وخمسين آية، في حين أن علم الفقه لا تزيد آياته الصريحة على مائة وخمسين آية، كما يقرر أن الإسلام جاء لأمم كثيرة، وأن سور القرآن الكريم متممات لأمور أظهرها العلم الحديث.

٥- التفسير العلمي للقرآن الكريم : أحمد شوقي إبراهيم

ولد أحمد شوقي إبراهيم يوم ٢٠ مايو/أيار ١٩٢٥ م بمحافظة القليوبية المصرية حصل على درجة البكالوريوس في الطب والجراحة بجامعة القاهرة عام ١٩٥٢، وماجستير طب المناطق الحارة في جامعة ليفربول بإنجلترا عام ١٩٦٤، وزمالة كلية الأطباء الملكية في لندن ١٩٧٢.

يعد إبراهيم من رواد مجال الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ونجح في المزاوجة بين تخصصه العلمي وبين العلوم الدينية وأخرج من هذا المزيج شيئا جديدا حاز اعجاب الناس لأنه أثبت بما لا يدع مجالا للشك أن القرآن الكريم من عند الله - عز وجل - وانه لا يمكن أن يكون

من تأليف بشر لأنه ذكر حقائق علمية قبل اكتشافها بقرون وهذا ليس فى طاقة البشر مهما كان لديهم من علوم ومعارف.

يقول في هذا: "إننا نحتاج إلى لغة العلم في خطابنا للغرب، خاصة مع وجود أوساط غربية تبث مغالطات وافتراءات، وتطلق شبهات حول الإسلام. وعلينا أن ندرك أن بعض هؤلاء لا يفهمون الإسلام بشكل صحيح، ومن هنا لا بد أن نعرّفهم بحقيقة الإسلام. وإذا كان السؤال كيف؟ أقول بلغة العلم".

كتب ٢٢ بحثا علميا طبيا منشورا في المجلات الطبية في الكويت ومصر وبريطانيا، بالإضافة إلى ١١ بحثا علميا في الإعجاز العلمي في القرآن والحديث النبوي ألقيت في المؤتمرات العلمية المختلفة في مصر والكويت وباكستان. كتب مقالات علمية في الطب نشرت في صحف ومجلات مصرية وأجنبية.